# الفصل الثاني

## قِصَصٌ مُعَاصِرَةٌ

### وَقَعَ لأَصْحَابِهَا تَدَبُّرٌ في القرآن الكريمِ

### وَعِظَةٌ بِآيَاتِه

obeikandl.com

obeikandl.com

لقد تأثر سلفُنا الصالحُ بآيات الله، وكانوا حديثي عهد بنزولها، وكان القرآن قد نزل لتوِّهِ غضًّا طريًّا، وكان رسول الله ﷺ يحيا بالقرآن بين أظهُرِهِم. ولكن القرآن الكريم الذي أخرج لنا تلك النماذج المشرقة من سلف الأمة العظام؛ لم يفقد قدرته على التأثير على قارئيه في زماننا، ولم يُعْدَمْ مِنْ أهله مَن يتلوه حق تلاوته؛ ويستخرج منه كنوزه، ويستلهم منه توجيهه، ويسير على خطاه وهديِهِ.

وهذا سردٌ لمواقف وقِصص من الواقع الحديث؛ تحدث بها أصحابها في بيان حالهم مع القرآنِ تدبرًا وعملا، وكيف كان أثر ذلك في تحولهم من الضلال إلى الهداية، ومن اتباع الشهوات والأهواء إلى الاجتهاد في عبادة رب الأرض والسماء، وكيف زالت الأَكِنَّةُ التي كانت تُغطِّي عقولهم وقلوبهم فاستشعروا أحوالا وقربًا لم يكونوا بالغيها من قبلُ؛ رغم مرورهم على تلك الآيات مرارًا وتكرارًا، فتالله لقد أثمر ذلك في قلوبهم حلاوةً وإيمانًا لا يجدهما إلا من عاش مع القرآن كما عاشوا، وتدبره كما تدبروا!

وسأسرد قِصصًا دون ذكر أسماء كاتبيها؛ فالعبرة بالقِصص لا بأسماء أصحابها، وقد قسمتها إلى قسمين:

**الأول**: قِصص تحكي تجارب أهل القرآن في تدبر آياته.

**والثاني**: قِصص تحكي تأملات ومواقف مع آيات القرآن.

obeikandl.com

## قِصص تحكي تجارب أهل القرآن في تدبر آياته

◄ ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾[1]

هذه امرأة لم يرزقها الله ذرية، مَرَّتْ على ما استطاعت الوصول إليه من الأدوية الطبية والشعبية بلا فائدة، وكان زوجها ذات يوم يتحدث مع إمام المسجد فقال له: لِمَ لا تقرأُ سورة نوح بحضورِ قلبٍ، وتستغفرُ ما استطعت من الاستغفار؟

قالت: فجاء زوجي وأخبرني بذلك، ثم قال: ما رأيُكِ أن ننفذ هذه الوصية؟ فرحبتُ بما قالَهُ، وقرأنا سورة نوح بتدبر، وفيها قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[2]، وأكثرنا الاستغفار والدعاء بإلحاح، وما هي إلا أشهرٌ حتى بدأتُ أشعر بأعراض الحمل، وذهبتُ إلى الطبيبة وكانت النتيجة أني حامل.

---

(١) نوح: ١٠.

(٢) نوح: ١٠-١٢.

## ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُواْ﴾[1]

أحد الدعاة في مصر يتحدث عن قصة اعتقاله فيقول: لما دخلنا سجن القلعة وكان تحت الأرض؛ أُدخلنا إلى زنازينَ انفرادية، وكانت أصواتُ المعذَّبين وأنَّاتُهُم تتعالى حولنا ليلا ونهارًا، وكانت الزنزانة مليئةً بالماء قيد شبرٍ ونصف، وكنا في زمهرير الشتاء، فلا مجال للنوم من أصوات التعذيب، ولا من الماء الذي يغمر أرجلنا، فكانت محنة شديدة، وما كان يخفف عنا إلا ذكر الله، وبقيةٌ من إيمانٍ أُشربناه في أيام الرخاء النسبي التي سبقت اعتقالنا.

وفي ليلة من الليالي وقد اشتدت عليَّ المحنة، وضاقت الزنزانة ضيقًا على ضيقٍ؛ رأيتُ فيما يرى النائم - وهو حلم يقظة - أنْ قد دخل عليَّ أحد الصالحين الذين أعرفهم، فاستبشرت برؤيته خيرًا، فسلَّمَ وسألني هل تحفظ سورة الأعراف، قلت: نعم، قال اقرأ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾[2]، فلما قرأتُها - كأنما أنزلت لتوها وكأني لم أقرأها من قبلُ - ثبت الله بها قلبي، وسكَّن فؤادي، وحلَّتْ عليَّ رحمات كأنما أنام في بيتي

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) الأعراف: ١٢٧-١٢٩.

على فراشي، فعجبتُ من أثرها، وصرتُ بعدها أقرؤها على إخواني كلما رأيت من أحدهم ضعفًا أو استسلامًا، والحمد لله الذي أحيانا بعد هذه المحنة وسلَّمَنا.

## ◄ مع الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ

موقف مؤثر يحدث به أحد طلبة الشيخ عبدالله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول:

كنا تحديدا في عام ١٤٢٠هـ؛ في درس بعد المغرب لفضيلة العلامة الجبرين رَحِمَهُ اللَّهُ على كتاب (شرح الزركشي)، وصادف أن كانت السماء عصر ذلك اليوم تُمطر مطرًا شديدًا لم تعهده العاصمةُ الرياض، واستمرّ المطر حتى موعد بدء الدرس، وقد أحسن إمام المسجد حين قرأ في الصلاة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ (١).

وبعد الصلاة جلس الشيخ لدرسه، وكعادته: علّق قبل أن يبدأ على نزول المطر، وبيَّن أنه رحمةٌ من الله وفضلٌ، واستشهد بحديث الطائفِ: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب)(٢)، ثم تلا الشيخُ الآيةَ التي قرأها الإمام، وظل يشرحها كلمةً كلمةً وأورد الكثير من القصص والشواهد حتى أذَّنَ المؤذن للعشاء.

فلما بلغ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ (٣)؛ وافقَ شَرْحَهُ لها إرعادَ السماءِ رعدةً سُمع لها دويٌّ قويٌّ داخل المسجد، فأسهب في

(١) النور: ٤٣.
(٢) صحيح البخاري (ج ١ - ص ٣٥١).
(٣) النور: ٤٣.

شرحها، وفتح الله عليه بفتح عظيم حتى أتى بأقوال السلف وأشعار العرب، وعلته خشية، وخنقته عبرة، وهو ما لم يكن من عادته؛ إذ كان غالبا ما يتمالك نفسه وتأثر بعض طلبة الشيخ كثيرًا، وكان ذلك كله مع خرير ماء يُسمع سقوطه من على نوافذ المسجد، وعشنا يومها أجواءً رُوْحَانِيَّةً رائعةً عرِّفتنا حقا قيمة الماء، وإبداع صنع الله في السحاب، بما تعجز عن إيصاله آلاف الأفلام الوثائقية الحديثة، التي تصف نزول المطر بالصوت والصورة.

## ◄ آياتٌ مخيفةٌ لمن تأمّل!

في جو هادئ ولحظات سكون؛ كنت في زاويةٍ أتلو كتاب ربي، وأتأمَّل ما فيه من عِظات وعبر، وما فيه من نداءات من الرحمن سبحانه لنا، كُنتُ أرتل قول الله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾ (١).

فسمعتُ فجأة صوتًا عاليًا مخيفًا، فارتجفتُ وارتعدت فرائصي: ما الذي يحصل يا تُرى؟

أهي طائرة سقطت؟ ربما انفجار غاز، أو كهرباء! يا إلهي ما الذي يحصل؟ هل سأموت؟؟ لا لا أستطيع تخيل ذلك.

كِدتُ أفقد عقلي من شدة الخوف، لكن فجأة سكت الصوت! أخذت بعدها أتأمل للحظات!، الحمد لله لم يحدث شيء مما توقعت، ولا زلتُ على قيد الحياة، لم أعلم إلى الآن ما كان ذلك الصوت، لكن كلُّ ما أدركته هو ذلك الخوف الذي انتابني

(١) الحاقة: ١٣-١٥.



obeikandi.com

وكاد يقتلني، لا إله إلا الله، هذا صوت مخيف فقط وليس معه اهتزاز للأرض، ومع هذا فقد جُنَّ جنوني خوفًا منه، فيا ويح قلبي؛ ما حالي يوم القيامة؟ ما حالي عندما أسمع النفخ في الصور؟ ما حالي إذا اهتزت الأرض، وانشقت السماء؟ بل كيف بي إذا عُرِضتُ على ربي لا يخفى عليه شيء من أمري؟ عاودت قراءة تلك الآيات، لا إله إلا الله، آياتٌ مُخيفةٌ حقًا لِمن تأمّلها، ربِّ ارحم يوم العرض عليكَ ذُلَّ مقامِنَا، وثَبِّتْ على الصراط أقدامَنَا، ربِّ ارحم ضعفنا، وتولَّ أمرنا، واجبر كسرنا، آمين.

## ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾

تحدث الدكتور عامر رضوي الطبيب المشرف على متابعة الشيخ ابن عثيمين في مرضه؛ عن آخر ساعة في حياة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين فقال: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرأ القرآن الكريم، وكان يغيب عن وعيه ثم يُفيق، ثم دخل في غيبوبة، وبعدها بساعة انتقل إلى جوار ربه الكريم، وقد سمعته يتمتم لصعوبة حالته الصحية في لحظات إفاقته، وعندما سألتُ أبناءَه عما يتمتم به الشيخ ذكروا لي بأنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾[1][2].

## تَجْرُبَةُ مُعَلِّمَةِ الأَطْفَال

كنتُ أعمل مُعلمة لمرحلة الروضة والتمهيدي، وبدأتُ بعدها بخمسِ سنواتٍ أعتني بمعاني القرآن الكريم، وأتدبرُ قصار السور، وأربطُ الآياتِ بواقعي وواقع تلميذاتي، واستعملتُ مفاتيحَ التدبرِ العشرة الواردة في كتاب د.خالد بن

(١) وقفات في حياة الشيخ ابن عثيمين، لإحسان العتيبي ص٣٢.
(٢) الأنفال: ١١.

عبدالكريم اللاحم؛ فوجدت الفارق كبيرًا في نفسي وصغيراتي...

كنت أقرأ السورة في المنزل لنفسي وبترتيل وتمهل، مع الرجوع إلى ما تيسر من كتب التفسير؛ فوجدتُ الأثرَ ينعكسُ بلا تكلف عليَّ وعلى صغاري، وها هم قد تعايشوا مع الآيات وانفعلوا بمدلولاتها، وقد لمستُ التغيير في نفسي وشخصيتي بهدوء أعصابي وراحة بالي في بيتي ومع أولادي وبناتي داخل الحلقة وخارجها، كما لمست السكينة والهدوء والصبر على الأطفال، فلم يعد يعتدي بعضهم على بعض كما كانوا سابقًا.

لقد كانت أعمارُهم ما بين الرابعة والسادسة، وكنت أظن أن إدراكهم لمفهوم التدبر وتأثُّرهم به أمرٌ صعبٌ وبعيدُ المنال، ولكني فوجئت بأنهم يستوعبون ويتجاوبون بشكل كبير جدًا، كما تحسن وضع القراءة داخل الحلقة، وتحسن الانضباط، وزاد ثبات الحفظ، وكنت أظن أن القراءة بصوت عالٍ - كما اعتدنا - تساعد على الحفظ، فلاحظتُ العكسَ: أن القراءة بترتيل وتَرَسُّلٍ تجعل الطالبات أكثر تفاعلا مع الحفظ، فأين كنتُ من هذا الخير منذ زمن بعيد!؟.

ولا أنسى أن أوصي أَخَوَاتي المعلمات أولا بالإخلاص لله، وأدعوهن إلى الصبر والاحتساب في العمل، وأذكِّرهن أنه لابد من بذل الجهد في ربط الآيات بالواقع، ومراعاة أن الصغار لديهمُ القدرة على استيعاب أشياء لم يكن من الممكن استيعابها فيما سبق، وكلما صَدَقَ القصدُ وبَذَلَ الإنسانُ كل ما في وسعه جاء الحصادُ وفيرًا بإذن الله.

obeikandl.com

## تَجْرُبَةُ مُعَلِّمَةِ التَّجْوِيدِ

بدأت حكايتي مع كتاب الله العزيز باهتمامي الكبير بحفظ أكبر قدر من السور، وكان همي وهدفي أن أختم القرآن بأي طريقة، فكنتُ أهتمُّ بالكمِّ لا بالكيف، ولم أكن أتعرف على معانيه لأكتشف المعاني والأسرار التي يتضمنها، ولكن بعدَ أنْ منَّ الله عليَّ بأخذ بعض الدورات، وقراءة بعض الكتب في فن التدبر؛ تَغَيَّرَ مقصودي.

ومما كان له الأثر الفعال في تَغَيُّرِ فهمي؛ كتاب د.خالد بن عبدالكريم اللاحم بعنوان (مفاتح تدبرالقرآن)، فقد لمست خلال قراءتي له كثيرًا من الفوائد التي انتفعت بها، فمنها أن أمرَ التدبرِ خلافُ التفسير الظاهر للآيات، وهناك معانٍ عظيمة لا تظهر إلا لِمَنْ منَّ الله عليه فأبحر في أعماق معاني القرآن.

عرفتُ كذلك أن للتدبر مفاتيح، وشرعتُ في تطبيقها، ومن ذلك: تكرار الآية وترديدها بتمعن وحضور قلب، وما قرأتُ آيةً بعد ذلك وكررتُها عدة مرات وتدبرتُها؛ إلا كان لها تأثير وتحريك لقلبي وعيني.

إن الذي يقرأ القرآن بقلبٍ حاضرٍ يدركُ جيدًا قيمةَ القرآنِ وعظمته، ويتحرك قلبه بلا شك، وكل ما أريد قوله أنني بعد أن أدركت أهمية التدبر، وأثره الفعال على القلب وعامة الجوارح؛ صِرْتُ أقرأُ الآيات على طالباتي بفهمٍ، وأعيش مع ما في الآية من معانٍ، وأقف حتى ولو مع آية واحدة فأحس بمعانيها، ويسهل توصيلها للطالبات، حتى أصبحن يستخرجن الفوائد من الآية بأنفسهن بعد قراءتها عدة مرات.

إذا كان المرء لا يفقه شيئا مما يقرأ، ولا يتأثر به؛ فكيف يعلِّمُ غيره ويؤثر فيه؟!

إن فاقد الشيء لا يعطيه!

## ◄ تَدَبَّرَ سورةَ عَبَسَ

## فعرفَ الطريقَ وخطَّ المنهج!

(طارق) شابٌّ أمريكي من أصلٍ أفريقي، هداه الله إلى الإسلام فصار داعية إلى الدين الحنيف، وكنتُ قد سمعتُ من الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس (العالِمِ السوداني الشهير) أن طارقاً يُسلِمُ على يديه أكثر من ثلاثمائة شخص أسبوعيًّا!

وقد شاء الله أن ألقى طارقًا هذا في موسم حجِّ عام ١٤٢١هـ، إذ قدَّر الله تعالى أن يكون طارق أحد ضيوف الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود لأداء مناسك الحج، وكنت مشرفًا على أولئك الضيوف الأمريكيين في ذاك العام، وصحبَنَا في الحجِّ الدكتور جعفر شيخ إدريس لإلقاء دروسٍ ومحاضراتٍ عليهم باللغة الإنجليزية.

وكانتْ مفاجأةً للدكتور جعفر ولِي؛ أنْ كانَ طارق مع الضيوف، فلما رآه الشيخ قال لي: هذا هو الداعيةُ الذي حدثتك عنه، فأرجو أن تسمع منه مشافهة حتى يكون سندك في الرواية متصلا!

ففرحت بهذا فرحًا عظيمًا، واقترحت على طارق أن يشرح لنا ولكل زملائه الضيوف منهجه في الدعوة، وكان ذلك مساء الثامن من شهر ذي الحجة عام ١٤٢١هـ، فقال:

حينما أسلمتُ شعرتُ بعظمة هذا الدين القويم، وأثره على نفوس أهله،

وخالطني حزن شديد على حرمان الأمريكيين من هذا النعيم المقيم، فقررت أن أبذل قصارى جهدي لأنقل لهم بعض أنوار الإسلام لَعَلِّي بهذا أنقلهم من الظلمات إلى النور، ولكنني أدركت أني فرد، فماذا يجدي جهد فردي أمام طوفان الظلام؟

لكنني لما قرأت سورة عبس، بهرني قول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾[1]، فقلت في نفسي:

**الناس صنفان:**

* صِنْفٌ مُسْتَغْنٍ عن الدين، فلا تنفعه الذكرى، ولن يَزَّكَّى.
* وصِنْفٌ مُقْبِلٌ يريد أن يَزَّكَّى، وهذا - بلا شكٍّ - تَنْفَعُهُ الذِّكرى.

وهذا الصِّنفُ المُقْبِلُ - الذي يريد أن يَزَّكَّى - أعدادهم كبيرة جدًا، والجهد اللازم لتبليغهم رسالة الإسلام فوق طاقتي الشخصية، بل فوق طاقات دعاة المسلمين جميعًا، بل لكثرتهم لو اشتغل كل المسلمين فرادى وجماعات في إبلاغهم بالحق لكان ذلك فوق قدرتهم.

فقررت في نفسي أن لا أبذل طاقتي الدعوية إلا مع الذين يرغبون في معرفة الإسلام، فصرت إذا قابلت أحدًا حَيَّيْتُه وصافحته وسألته - وعيناي تتفرسان في وجهه لِسَبْرِ أثرِ سؤالي عليه - قائلا: هل ترغب في معرفة شيء عن الإسلام؟ فإن قال: (لا) قلتُ في نفسي: هذا مِمَّنِ استغنى، ولا يريدُ أن يَزَّكَّى، فيا طارقُ لا تُضِع

(١) عبس: ١-١١.

جهدك معه، وابحث عن غيره.

وإذا قال: نعم أريد أن أعرف؛ وقفت معه أُحَدِّثُهُ عن أسس الدين الحنيف، وعيناي ما زالتا تتفرسان في وجهه لِسَبْرِ أثرِ كلامي عليه، فإن رأيته غير منسجم مع كلامي سألته:

هل تريد أن أزيدك معلومات؟ فإن أبدى تململا أو عدم ارتياح، أو رغبة في الانصراف، وَدَّعْتُهُ راجيًا منه أن يبحث عن الحقيقة أكثر فأكثر، ثم افترقنا.

وإذا كان جوابه إيجابًا؛ عرضتُ عليه أن نجلسَ إمَّا في حديقةٍ أو مقهىً أو مطعم؛ فأزيده تفصيلاً، ثم أعطيه عنوان المركز الإسلامي، وأطلبُ منه أن نلتقي مساءً هناك، وأكثرهم يأتي على حسب الموعد ويُسْلِم.

قلتُ: ولما استوثقتُ منه عن عدد الذين يسلمون على يده؛ أكد أنهم فعلا يزيدون على الثلاثمائة أسبوعيًّا، وأكَّد أنَّ ذلك بفضل الله وبفضل كلام الله الكريم في سورة عبس!.

## ◄ حينما زار ملك الموت بيتي!!

زار ملك الموت بيتي عندما أراد الله جل وعلا قبض روح فلذة كبدي، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأفاض عليه من كرامته ورضوانه، ورأيت تلك الزيارة في رؤيا قبل تحقق المصيبة بثلاثة أيام، فكنت لا أعلم من سيأخذ؟ وهنا كان الابتلاء والامتحان!!

وبعد ذلك قضى الله أمره في ولدي، فعلمت علمَ يقينٍ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن أبدًا ليصيبه!

اتجهت في هذه المحنة إلى كتاب الله ليسكن فؤادي المقطوع الفارغ من كل شيء

إلا من ذكر الله، فقد كان للمصيبة ألمٌ شديدٌ كالسيف يُقَطِّعُ أوصالي قطعةً قطعةً، فوجدت - والحمد لله - العلاجَ والراحةَ والسَّكينةَ والطُّمأنينةَ واليقينَ والصبرَ والرحمةَ والهداية وثمراتٍ أخرى كثيرة؛ وجدتُها في آيات الله وكتابه المبين.

كان لساني لا يَفْتُرُ من دعاء الله أن يربط على قلبي كما ربط على فؤاد أم موسى، واستحضرتُ في نفسي الآية التي تصف حال أم موسى وهي ترمي بثمرة فؤادها في البحر، يقول تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقد جاءني الغَوْثُ بحمد الله، فأحسست بالثبات والرِّبَاطِ على قلبي، واستشعرتُ السكينة والهدوءَ في قلبي وجوارحي، فَقَلَصَ دمعي، وازداد رسوخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر عندي، ومازلت أردد قول رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون[2].

## ◄ مسلمٌ جديدٌ يُعظم شعائر الله

حدث الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس بعد إحدى زياراته إلى كندا قائلا:

رأيتُ في المركز الإسلاميّ بـ(مونتريال) شابًا قد أسلم حديثًا، ويصلي جميع الصلوات جماعةً في المركز الإسلاميّ، وقد أخبرني إمامُ المسجد أن هذا الشاب منذ

(١) القصص: ١٠.

(٢) صحيح البخاري - (١/ ٤٣٩).

أن دخل في الإسلام وهو لا يترك فرضًا من الفروض مع الجماعة بهذا المركز صيفًا ولا شتاءً، حتى في شهور الثلوج والبرد الشديد، وأنه يقطع في سبيل ذلك طريقًا يستغرق منه كل مرة حوالي نصف ساعة.

يقول الدكتور جعفر : فكلمتُ ذلك الشاب لأقنعه بأنه في ذلك يشق على نفسه.

فقال لي: يا شيخُ؛ أمَا قرأتَ قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1]، والمساجد من شعائر الله، فأنا أريد أن أعظم شعائر الله تعالى.

قال الشيخ : فوالله لقد انقطعت حجتي، وسكت!

## ◄ جَلْسَةُ القرآن العامرة في البيت!

كانت البداية قبل سبع سنوات تقريبًا، حيث قرر رب الأسرة أن نجتمع لنقرأ شيئًا من القرآن ونتدارسه، وكانت الجلسات غير منتظمة، كما أنها غير محددة بوقت معين، وذلك لظروف عمله وفترة وجوده في البيت فتارة بعد الفجر، وتارة بعد العصر، وأخرى بعد المغرب أو العشاء، وقد نجلس يوميًا أو يومًا بعد يوم، وقد تمضي أربعة أيام لا نجلس فيها لانشغاله، لكن اضطراب الأيام والأوقات لم يؤثر على إصرَارِهُ أن يستمر.

كانت الطريقة تتمثل في قراءةِ صفحةٍ من القرآنِ، وبدأنا من سورة الفاتحة ثم البقرة، نقرأ ثلاثَ مراتٍ أو أربعًا تبعًا لعدد الحضورِ من الأولاد، وقد تتقلص إلى

(١) الحج: ٣٢.



obeikandi.com

مرتين، ثم نبدأ في استعراض الألفاظ الغريبة التي يصعب عليهم فهمها، ثم يبدأ الوالد في شرح الآيات والوقوف على معانيها وتوضيح المراد منها، وكثيرًا ما كان يستخدمُ أسلوب الحوار والمناقشة بطرح الاستفهامات أو الأسئلة، ثم يُعَقِّبُ على إجاباتهم إن كانت صحيحة، أو يُصحح إن كانت غير ذلك، ثم نبدأ في استخراج الفوائد والعبر من الآيات، وقد يتخلل ذلك قصة من القصص أو سبب نزول لآيةٍ، وقد يكون لها علاقة باليوم الآخر فيستطرد في الحديث عن مشاهد القيامة وأحوال الآخرة والجنة والنار، وقد يتحدث في مناسبة أخرى عن الحساب والجزاء وعرض الأعمال وتطاير الصحف وهكذا، ثم يوظف هذه المعاني لاستجاشة مشاعر الأولاد، وتحريك ضمائرهم، وضرب الأمثلة المتنوعة، وأثر ذلك على السلوك.

وفي كثير من الأحيان يركز على قضايا العبودية والإخلاص، وصور الشرك ويربط ذلك بواقع الأولاد وأمثلةٍ من حياتهم وتصرفاتهم، وقد يتحول الدرس في بعض الأحيان إلى خطبة وعظية من خلال الآيات، ثم يترك المجال لغيره للتعليق، وقد يطرأ استفسار أو لبس فيزيل اللبس والإشكال عنه، وإذا لم نجد إجابة وافية رجعنا فيما بعدُ إلى كتب أهل العلم، وربما لبعض أهل العلم أنفسهم في بعض القضايا العلمية الخاصة.

لقد لمست أثرًا طيبًا من هذه الجلسات، وخيرًا كثيرًا تمثل فيما يأتي:

- زاد تعظيم القرآن الكريم وهيبته في نفوس أبنائي.

- ازداد وعيُهم بأهمية القرآن في حياتنا وسلوكنا، وأنه المرجع الأول لكل شيء نريد أن نقوله أو نعمله.

- جَلسةُ القرآنِ تُعلم الانضباط في الوقت والحركة، وفي كيفية الجِلسة ذاتها، وتعلِّمُ آدابَ قراءة القرآن، وحملَ المصحفِ بطريقة صحيحة.

- تصويب القراءة عمومًا وتحسين مستواها عند الأولاد.

- الوقوف عند النطق أو النواحي الإعرابية يزيد المستوى العلمي عند الأولاد من حيث لا يشعرون.

- طرح القضايا الكبيرة العقدية والتشريعية والسلوكية من خلال الآيات؛ يجعلُ هِمَمَ الأولادِ عاليةً، واهتماماتِهِمْ جادةً، ويَظهر هذا من حديثهم في الاجتماعات الأسرية حيث يلتقون بأقرانهم من البنين والبنات.

- طرح القضايا الفكرية وربطها بالواقع يُضْفِي مزيدًا من النضج على الأولاد، والتعرض لبعض القضايا الاقتصادية أو الطبية يعطيهم نظرة واسعة، وكل ذلك يولد عندهم حِسَّ التحرج من الحرام قليله وكثيره.

- صارت القضايا التي يحملها الوالدان واضحة عندهم إلى حد كبير.

- التأثير المباشر على سلوك الأولاد:

  - في الحرص على إقامة الصلاة، وأدائها على الوجه الأكمل.
  - في الالتزام بقيام الليل وصيام التطوع.
  - في التسامح فيما بينهم.
  - في تعزيز بعض الأخلاقيات الحسنة، كتجنب الألفاظ البذيئة أو الترفع عن السباب.
  - في ضبط النفس في ذلك.

obeikandl.com

- في الكرم، والتصدق والبذل للفقراء والمساكين، حتى نشأ ما يمكن أن يسمى بصندوق التبرعات.

لا شك أن الخير كل الخير في استمرار مثل هذه اللقاءات على مائدة القرآن، وإن اعترضها بعضَ الأحيانِ شيءٌ من الملل والرتابة لأن النفوس تَمَلُّ وتنفر، إلا أنه يُعتاض عن ذلك بتجديد الأسلوب، ومراعاة بعض التغيير في الوقت والمكان والطريقة، فمن الأمور التي جددنا فيها أنه أصبح كل واحد منهم يشرح الآيات بحسب ما يفهمه، ويدور عليه الدَوْرُ مرة على الأقل، وهذا وإن كان ثقيلا عليهم في البداية؛ إلا أنه أكسبهم الجرأة والمقدرة على التعبير عما يريدون، والحمد لله رب العالمين.

## ◄ تدارس وتفسير

هناك طريقة تعلمتها من معلمتي في التعامل مع القرآن الكريم ومدارسته؛ مُفادُها: ألا نقرأ معاني الآيات من التفسير مباشرةً عند تلاوتها، بل نقف على الآية بالتأمل والتفكر حتى نستنتج المعنى أولا، ثم نعود بعدها إلى التفسير لنرى هل كان فهمنا موافقًا له أم لا؟

وقد وجدت ثمرة هذه الطريقة في تدبري للقرآن الكريم، ووجدت أيضًا أن المعنى يثبت لديَّ بشكل أكبر بسبب تفكري فيه، وكنت أراجع التفسير بعدها بشغف لأتأكد من فهمي للآيات، مع ملاحظة ضرورة هذه المراجعة للتفاسير، وعدم الاعتماد على الاجتهاد الشخصي في الفهم لأن الشيطان يسعى جاهدا أن يُلبِّس المعنى على المؤمن.

أيضًا تدارس القرآن الكريم مع صويحباتي في حلقة نلتقي بها عند إحدانا،

أو عن طريق الشبكة العنكبوتية، نحدد آيات كل أسبوع، فنراجع حفظها ونتدبر معناها، وتحضِّر كل واحدة منا فوائد من تلك الآيات من مراجعَ مختلفة ثم نتدارسها معًا، كذلك الإطلاع على منتديات أهل التفسير والدراسات القرآنية علمتني الكثير، ولقد كانت تجربتي في حفظ القرآن الكريم - بفضل من الله - في مدة قصيرة نسبيا، ومع ذلك لم أستطع أن أثبت حفظي إلا بعد قراءة تفسير الآيات ثم تكرارها، وهكذا؛ ظهرت لي معانٍ عديدة في القرآن لم أكن لأدركها لو لم أطالع تفسيره وأتدبر معناه، كأسرار تشابه الآيات، وربط السور ببعضها، وغيرها من علوم القرآن التي لا يدركها من يقرأ القرآن فقط دون حفظ وتدبر.

## ◄ تجربة شخصية

عندما أود الاستمتاع والانتفاع بكلام ربي؛ أجلس في مُصلايَ بعد إحدى الصلوات المكتوبة، وأختار صلاةً ليس بعدها شغل لكي يكون ذهني فارغًا من الشواغل، ثم أقرأ الآيات بترتيل، وإذا مررت بآية لا أعرف معناها أنظر إلى هامش مصحفي المفسر، وإذا عرفتُ معناها وتأثرت بها كررتها حتى تدمع عيني ويَرِقَ قلبي، ثم أعرضها على حياتي وأسأل نفسي: هل عملت بها يا نفس؟ وإذا أغلقتُ المصحف وجلست إلى زوجي أو أحد أبنائي قرأتها عليهم، فيشاركونني التأمل فيها، وهكذا حتى لا أكاد أنساها، نفعنا الله بالقرآن العظيم آمين.

## ◄ رؤية شاملة للسورة

تجربتي مع التدبر كانت من خلال تدريسي لحلقة القرآن الكريم في سكن الطلاب بجامعة الملك سعود، فقد شرحت من سورة الفاتحة إلى الأنعام مع حزب

المفصل، ثم تخرجت فلم أكمل! كانت لي طريقة تعتمد على تكوين رؤية شاملة عن السورة وما المطلوب مني فيها، وتحديد ذلك باستخدام الخرائط الذهنية، ثم تجزيء السورة إلى مقاطع حسب المعنى، مع مراجعة أمهات الكتب الموثوقة في التفسير.

## ◄ جمعهن التدبُّر!

نحن مجموعة من الجارات جمعتنا الأخوة في الله، وجمعنا السكن في نفس الحي، وقد حضرنا دورةً في تدبر القرآن الكريم ألقتها إحدى الداعيات في دار التحفيظ التابعة للحي، وتأثرنا جدا بهذه المحاضرة، وأدركنا مدى إهمالنا لكتاب الله، وأهمية تدبره، ومدى أثره في ترسيخ الإيمان بالله والعبادة، وعلى السلوك والتعامل مع الناس، وتعاهدنا على أن نتدبر القرآن الكريم معًا.

بدأنا نعقد جَلْسَةً أسبوعيةً كل يوم سبت في دار التحفيظ، من بعد صلاة العصر حتى أذان المغرب، وكان ترتيبُنا أن نتدبر ثلاثَ صفحاتٍ أسبوعيًا، على أن تعود كل واحدة منا إلى كتب التفسير التي وزعناها فيما بيننا، ثم نقف عند كل آية ونراجع ما قيل في كتب التفسير ونعلق، ونتفكر في الآية من جميع جوانبها، مراعين بذلك خطوات التدبر التي تعلمناها من المحاضرة، وكانت تعتمد على السؤال والعصف الذهني وربط الآيات ببعضها، والانتباه إلى تذييل الآية، ومناسبته للآية السابقة واللاحقة، وعدم الخوض في تفاصيل أغفلها القرآن الكريم لحكمة بالغة، وغيرها من الخطوات...

## ◄ مكانة وأيُّ مكانة!

لا يمر شيءٌ على قلب الإنسان فيغيِّرُ فيه ويبدِّلُ مثلَ كلام الله عز وجل، وكنتُ

كلما مررتُ على الآيات التي يمتدح الله فيها أنبياءه وعباده الصالحين، وكيف علا شأنهم عنده سبحانه، كقوله تعالى في نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[1]؛ ظهر لي إكرامه تعالى لنبيِّه ﷺ، فَلِعِظَمِ مكانته عنده سبحانه لن يعذب القوم وهو بينهم، فأقف متأملة لهذه الرِّفعة.

وأتأمَّل كذلك قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]، وقوله عنه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[3]؛ فأرى المولى جل وعلا يثني على توحيده عليه السلام لربه.

وأتأمَّل أيضا قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[4]، بل إنه تعالى يقول عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[5]، فما أروع ما ينبعث في نفسي بعدها من شعورٍ يردد بين أصداء قلبي: وهل يتمنى الإنسان شيئًا أكبر من أن يكون مرضيا عند ربه؟

ويشتد وقع مثل هذا الثناء على قلبي إذا كان قد خصَّ امرأة مثلي، فلطالما قرأتُ قوله تعالى عن مريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[6]، فعلا؛ ما أجمل وما أعظم هذا الاختيار! وممن هو؟ من مالك

(١) الأنفال: ٣٣.
(٢) النحل: ١٢٠.
(٣) مريم: ٤١.
(٤) طه: ١٣.
(٥) مريم: ٥٥.
(٦) آل عمران: ٤٢.



obeikandl.com

الملك عز وجل، فهنيئا لها!.

ينبعث في نفسي سؤال واحد عندما أقف متأملة كل هذه المقامات من التشريف: ما هي مكانتي عند ربي؟ وهل هو راض عني؟

فأشحذ همتي في الاقتداء بهم، والوصول إلى أحوالهم التي جعلت لهم هذه الرِّفْعَةَ بفضل الله ومنته، وإن كنت أعلم أني لن أبلغ مبلغهم، ولكن لعل الله ينظر إلى قلبي برحمته فيرضى عني ويرفع شأني، ويُلحقني بهم في الآخرة.

### ◄ شوَّقهم تدبرُ القرآن إلى علم النحو والبلاغة!

كُلِّفْتُ بتدريس مادة النحو لبعض طلاب كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ووجدت في بداية التعليم نفورًا غريبًا من علم النحو، بل لاحظت ريبة وشكًّا في نفوس الطلاب تجاه مُعلمهم، فيسألون عن رأيي في القول بالمجاز، وإعراب بعض الحروف الزائدة في القرآن ونحو ذلك، وقد بلغَ الأمرُ غايته حينما دخلتُ إحدى القاعاتِ فوجدتُ طالبًا قد كتبَ على السبورةِ بيتَ الشعرِ المشهورِ الذي لا يُعرف قائله:

وَلَسْتُ بِنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانَهُ  وَلَكِنْ سَلِيْقِيٌّ يَقُولُ فَيُعْرِبُ

فأدركت أنني -هكذا- أَنْفُخُ في قِرْبَةٍ مشقوقة، ففكرت تفكيرًا عميقًا، وأيقنتُ أنه لا سبيل إلى إقناع هؤلاء الطلاب بأهمية علم النحو إلا بربطه بالقرآن الكريم، فقلت لهم يومًا: لديَّ سؤال، من أجاب عليه فله جائزة: لماذا قال

الله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[1] ﴿ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾ و﴿ٱسْتَطَـٰعُواْ﴾ ؟ فلم يعرف أحد منهم الجواب، فأعطيتهم مُهلة إلى المحاضرة التالية، ونقلت السؤال إلى القاعات الأخرى.

وفي المحاضرة التي بعدها سألتهم عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾[2]، لماذا عَدَّى الفعلَ ﴿يَرَوْاْ﴾ بـ ﴿إِلَى﴾ ولم يقل: أو لم يروا الطير؟ ولماذا قال: ﴿صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾؟.

وهكذا؛ كنا في بداية كل محاضرة نجيب عن سؤال المحاضرة السابقة، وفي نهايتها أُلقي عليهم سؤالا جديدًا!

وقد رأيت ثمرة هذا التدبر عليهم وعليَّ، أما الطلاب فقد أدركوا حاجتهم إلى علم النحو، حتى إن بعضهم صار يأتي إلى بيتي ليَدرس عليَّ علم النحو والصرف، وأما أثره عليَّ فقد اجتهدتُ في التنقيبِ عما أشار إليه العلماء والمفسرون من صور الإعجاز البياني، فاجتمعت لديَّ حصيلة طيبة منها قدمتها في برنامج إذاعي في إذاعة القرآن الكريم، ثم نشرتُها في كتاب بعنوان: نظرات لغوية في القرآن الكريم/ صالح بن حسين العايد.

## ◄ غيِّر نفسك أولا!!

كنتُ أرى سنين عُمُرِي تذهبُ هدرًا دون أيِّ إدراكٍ مني، إذ كُنت في عزلة

(١) الكهف: ٩٧.

(٢) الملك: ١٩.



obeikandl.com

أقربُ للانطوائية، وكان بعض من حولي يُحاولون إخراجي من الجو الذي كُنت فيه، واستمرَّ الحال حتى أصبح عمري ١٩ سنة، وشيئًا فشيئًا بدأتُ أشعر أنني فعلا بعيدة عن الواقع وعن الحياة، فحاولتُ أن أغير نفسي فلم أستطع.

اسودَّت الدنيا بعدها في عينيَّ، وأحسستُ أنني انتهيتُ وَضِعْتُ للأبد، وكرهتُ نفسي واستسلمتُ في خنوع لواقعي، بل إنني أقنعتُ نفسي أن الناس من حولي لن يعودوا إلى تقبُّلي مرة أخرى، فأنا في نظرهم المنعزلة والوحيدة، وفي يوم قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]؛ فعرفتُ أن التغيير لابدَّ أن يبدأ من نفسي، ففرحتُ جدًّا وقررتُ أن أُغيِّر نظرتي للحياة ولنفسي أولا، وبعدها ستتغيَّر نظرة الناس لي بالتأكيد، وبالفعل أصبحتُ أفضلَ ولله الحمد، صحيحٌ أنني لازلتُ في بداية الطريق، لكنَّ التغيُّرَ كان ظاهرًا جدًا عليَّ، والحمد لله.

## ثلاث آيات لأصحاب الفتاوى الشاذة

كنتُ في ضيق وغمٍّ وأنا أقرأ وأسمع بين آنٍ وآخرَ فتاوى شاذة؛ تُحِلُّ حرامًا مما استقر على حرمته الواقع في بلاد المسلمين، فتتلقفُها وتبتدرها وسائل الإعلام المُغرِضَةُ فتنشرها، وتفرح بأصحابها فتُمجدهم وتنافح عنهم، وتمسي صورهم وكلماتهم مِلْءَ الشاشاتِ والصحف، وكنت إذا حزبني أمر أو غمني سوءٌ مِلْتُ إلى واحةِ القرآن الكريم أستظِل بأفيائها وأتنسم عبيرها، وذات يوم كنت أقرأ سورة الإسراء، فتسمّرَتْ عيناي على آياتٍ ثلاثٍ عجزتُ أن أجاوزهن: ﴿وَإِن كَادُوا۟

(١) الرعد: ١١.

لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾(١)، وصِرْتُ أعيد قراءتهن وأتفكر في معانيهن، وأقول في نفسي:

هل قرأهن فلان الذي أفتى بجواز الربا؟ وهل قرأهن فلان الذي أفتى بجواز الاختلاط؟

سبحان الله! لقد اتخذ الإعلامُ السيئُ كلَّ واحدٍ من هؤلاء خليلا!!

نسأل الله الثبات على الحق حتى الممات؛ فرسول الله ﷺ المؤيد بالوحي والعصمةِ كادوا يفتنونه عما أوحى الله إليه ليفتري على الله غيره، وسيتخذونه حينئذ خليلا، ولولا أن ثبته الله لقد كاد يركن إليهم شيئًا قليلا!

لكن ذاك الإنسان الضعيف غير المؤيَّدَ لا بوحيٍ ولا عِصمةٍ؛ افترى على الله – عند أول إغراء – ما ليس في شرعه؛ فاتخذوه خليلا فركن إليهم كثيرا وليس شيئا قليلا!

لكن هل تدبر هذا الضعيفُ الذي أفتى بغير شرع الله العاقبة التي يخشى عليه منها؟

ليقرأ عقابَ خيرِ البشرِ أولهم وآخرهم رسول الله ﷺ لو ركن إليهم شيئًا قليلا ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾، وَاحَرَّ قلباه: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾، ثم لا يجد له على الله نصيرا، كل

(١) الإسراء: ٧٣-٧٥.

obeikandi.com

هذا لو ركن إليهم شيئًا قليلا، وهو صَفِيُّ الله من خلقه وخليله!

إذًا ما حال العبد المسكين الذي استخفه أصحاب الشهوات والشبهات فركن إليهم شيئًا كثيرًا، وافترى على الله غير وحيه وشرعه؟ إنه لن يكون أكرم على الله من رسوله صلى الله عليه.

نسأل الله الثبات على الحق حتى الممات.

## ◄ عندما عادت إليَّ نفسي!!

كل ما أملكه لم يكن يتجاوز كونه عقلا شاردًا يتخبط بي، وهمًّا يؤرقني، وأنينًا في صدري يهز أضلاعي، ووجدت نفسي وحيدة على كثرة من حولي، ووجدتني ضعيفة جدًا، وما أعظمها من حقيقة تعلمتها من تجربتي، حقيقةُ أنني ضعيفة لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا! حقيقة نؤمن بها نظريًا، لكن شتان بين النظرية وبين أن نذوقها ونعيشها، حينها تتبدل المقاييس والمعايير في ذواتنا، ونعيد البناء على أساس متين، على أساس ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١).

لجأتُ للقرآن الكريم حينها، وكيف لجأت؟! كانت البدايةُ بعدَ آيةٍ ترددت في ذهني كثيرًا ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢)، وأخذتُ أضع لنفسي وِردًا أقرؤه ليطمئن قلبي المكلوم، فهدأت نفسي لمجرد القراءة، لكن ما زلت أشعر أني في طريقي لخيرٍ أعظم.

وفعلا؛ جاءتني مكالمة من أخت في الله، ذكرتني بالله وبِعِظَمِ أجرِ الابتلاء

(١) محمد: ١٩.

(٢) الرعد: ٢٨.

والصبر عليه، وقالت: لقد أراد الله بك خيرًا، فلربما أرادَ أن يزيدكِ من فضله بعد أن رأى منك نفعَ الناسِ بما تقدمينه لهم من خير، ثُمَّ قرأَتْ آيةً، وانتهت المكالمة!.

لم تكن تعلمُ ما فعلَتْ بي هذه الآية، لقد غيَّرت مجرى تفكيري حينها بشكل غير عادي، ووجدتُ في روحي انتعاشا غاب عني شهورًا، إنها قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1]، يا الله! أبالصبر واليقين أنال هذا الشرف؟ حينها قلت بكل عزم وحزم: يا أقدامَ الصبر تحملي ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2]، وكوني على يقين بكل ما يعدك ربك في كتابه، وفعلا قررت حينها أن أصبر وأصبر، وأن يكون عندي يقين أكثر بفرج الله سبحانه ووعده حيث يقول ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾[3]، ويقول: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[4]، ويقول جل وعلا: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[5]،ويقول تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[6].

وحينما كانت الضغوط تحيط بي، ويتعالى حديث الناس من حولي بأنني سأفقد الكثير، كانت تأتيني آية تنزِلُ على قلبي نزول المطر على الأرض الجدباء القاحلة؛ فيزهر ربيع قلبي، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧

(١) السجدة: ٢٤.
(٢) البقرة: ١٥٣.
(٣) الطلاق: ٢.
(٤) الطلاق: ٣.
(٥) الشرح: ٥-٦.
(٦) الطور: ٤٨.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1].

لقد كانت كل آية تأتيني ذكرى من الله، فكم يفتح التدبر للنفس من آفاق نحو السعادة والاستقرار النفسي، والله إنها لحياة جديدة لقلبي، فخرجت من المحنة وقد خسرت في نظر كثير ممن حولي، وهذا للأسف فهمنا القاصر للمشكلات التي نعيشها، لكني والله قد ربحت، بل إن ربحي لكبير مع رحلة التدبر، لقد ربحت من هذه المحنة ذاتي التي وجدت طريقها أخيرًا!!

## ◄ تثبيتٌ من الله

كُنتُ إذا سمعتُ بالفتنِ من حولنا وكثرتها وكثرة المعاصي؛ أبحث عن وسائل للثبات على دين الله، ومع تأمُّلي في القرآن الكريم؛ وجدتُ هذه الوسائل فعلا في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[2]، فجعلتُ شعاري بعدها العمل بما أعلم، حتى حصلت على بعض الثمار، ومنها: معونة الله عز وجل لي على القيام بالطاعات بأسهل الطرق.

## ◄ وعد الله حقٌّ!

احتاجت أمي في يوم من الأيام لشيء يكلف بعض المال، وكنتُ ألمس رغبتها فيه وحاجتها إليه، وكان لدي بعض المال الذي رصدته لحاجة لي، لكنه قد يقضي

(١) الحجر: ٩٧-٩٨.

(٢) النساء: ٦٦-٦٨.



obeikandl.com

حاجة أمي، ومر في نفسي خاطر: لم لا أقدم حاجتها على حاجتي؟ ألم يأمرني الله ببرها؟ وراودتني نفسي فصارعتُها حتى قررتُ تقديمَ حاجتها على حاجتي مهما كلفني ذلك، وتذكرت قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ ﴾[1] فقضيت حاجتها، وكلفني ذلك مبلغًا من المال، كلي أمل في رضاها بعد رضا الله، ولما فاجأتُها بالأمر بكت من شدة الفرح، فانشرح صدري لما وفقني الله إليه من برها وإدخال السرور عليها.

العجيب في الأمر أنه في اليوم التالي لقضائي حاجتها؛ تم تحويل مبلغ لحسابي مكافأة من جهة رسمية، والأعجب أنها كانت بمعدل الضعف وزيادة، فبكيت حينها لأنني تذكرت موعود الله عز وجل: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ ﴾.

## ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾

حينما بدأتُ في حفظ كتاب الله تعالى قبل عشرين عامًا؛ كنتُ أقف أمام بعض الآيات التي تُؤثر في قلبي جدًا، وأكررها عشرات المرات، ثم أكتبُها على ورقة وأضعها أمامي متأملا كلماتها ومعانيها، فكنتُ أشعر أن هذه الآيات تُحدث تأثيرًا كبيرًا في قناعاتي وعقيدتي ومبادئي.

ومن تلك الآيات العظيمة التي كتبتُها وعلَّقتُها على جدار غرفتي قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ

(١) الحديد: ١١.

يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

لقد عالجَتْ هذه الآيةُ عندي أكثر من ٩٠٪ من الحزن والكآبة والقلق والخوف والتردد!!! ولكن كيف ذلك؟

لقد كنت أتعرض لإحباطات كثيرة نتيجة فشلي في عمل ما، أو خطئي في تصرف ما، أو تسرُّعي في كلمة أقولها ثم أكتشف أنني مخطئ، وعندما قرأتُ هذه الآية علمتُ أن أي ضرٍّ يصيبني إنما هو من الله تعالى، وهو أمر مُقَدَّرٌ قبل أن أُخلق، وهذا الضُّرُّ لا يمكن لأحد أن يُذهبه ويكشفه إلا الله تعالى، فكنتُ أقول: لماذا أنا حزينٌ وقلقٌ ومحبِطٌ؟ إذا كان الله تعالى وهو أرحم الراحمين قد مَسَّني بهذا الضرَّ؛ فهو من سيكشف هذا الضر، فهل هناك أجَلُّ من هذا؟

لقد غيَّرت هذه القناعة الجديدة أشياء كثيرة في حياتي، فتحول الوقت الذي كنتُ أمضيه في التفكير فيما سبق من أخطاء ومشاكل؛ تحول إلى وقت مثمر أقرأ فيه القرآن أو أتعلم فيه أمرًا جديدًا من أمور العلم!

انظروا معي إلى هذه الكلمات: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾؛ كيف غيَّرت حياة إنسان بأكملها، وكيف غيرت الوقت من وقت ضائع إلى وقت مثمر وفعّال!

وماذا عن الجملة الثانية من الآية: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ يا لها من كلمات مليئة بالرحمة والتفاؤل والحيوية، فقد كنتُ في كثير من الأوقات أعاني من قلق وخوف من أشياء سوف تحدث، أو أتخيل أنها ستحدث، وعندما قرأتُ

(١) يونس: ١٠٧.

هذه الكلمات الإلهية أدركتُ بأن أي خير سيصيبني لا يأتي إلا بإرادة الله عز وجل! ولن يستطيع أن يردَّه عني أحد إلا الله تعالى، فلماذا التردد في فعل هذا الأمر ما دام في رضا الله؟ بعدها؛ لم يعد لدي حسابات كثيرة أجريها قبل القيام بعمل ما، ماذا يعني ذلك؟ وتأمّل: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، إنها الجملة الثالثة من الآية الكريمة، وتعني أن الله تعالى يختار من البشر من يشاء ليصيبه بالخير.

## ◄ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾

دائما كُنت أفكر في أولادي ومستقبلهم، وتراودني فكرة أنني قد أموت وأتركهم وهم أطفال صغار، وأفكر كيف سيكون حالهم من بعدي؟

ولكن ذات مرة وأنا أقرأ سورة الكهف، وعندما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1].

وقفتُ عندها كثيرا وتأملتُها، وأصبحتُ أرددها كثيرا في نفسي وأتساءل: ما الذي يعنيه أن يكون الشخص صالحًا؟ وما أهمية هذا الصلاح في حفظ الأبناء؟ وقررت بعدها أن أبحث عن تفسيرها، والذي ما إن قرأته حتى أثَّر في نفسي أثرًا بالغًا، وجعلني أقرر أن أصلح أولا من أحوالي؛ سواء على صعيد علاقتي بربي، أو علاقتي بالناس من حولي حتى أنتفع وينتفع بذلك أولادي من بعدي، وبدأت فعلا أقطف ثمار هذه الآية العظيمة، فأنا أشعر الآن بسعادة عظيمة في ظل عبادتي

(١) الكهف: ٨٢.



obeikandl.com

لربي، وثقتي الكبيرة به أنه هو الحافظ لأولادي وعائلتي من كل شر مادمت أعمل صالحًا.

## ◄ ميلاد جديد

كان ميلادي في السادسة عشرة من عمري!!

كان ذلك في ليلة من ليالي الصيف وبعد العشاء في بيت أخي الأكبر، إذ جلسنا في فناء داره وعلى ضوء أنوار أعمدة الشارع في ليلة لا أنساها أبدًا، وكان أخي يحدثنا عن الجنة ونعيمها، وأخذ الحديث بمجامع قلبي وكأني أسمعه لأول مرة، بل ربما فعلا أسمعه لأول مرة، فقد كنت في غفلة مُطْبِقَةٍ، وسألت أخي: أين أجد مثل هذا الكلام الجميل؟ فأشار إلى مكتبته الخاصة، ونظرت إلى الكتب في حيرة: أيَّهَا أختارُ؟

ولا زِلْتُ أتعجبُ إلى اليوم كيف وقع اختياري على كتاب (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) لابن القيم، مع كتابه الآخر (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، وكتاب ثالث هو أحد أجزاء (الترغيب والترهيب) للمنذري.

أخذتها وذهبت إلى المنزل، وظَلَلْتُ أقرأ وأقرأ وتأثرت كثيرًا، وتولدت لدي الرغبة الشديدة في حفظ القرآن الكريم، حيث لم يكن معي منه وأنا في السادسة عشرة إلا بعضٌ من قصار السور مع ضعف في حفظها!! وبدأت الحفظ فعلا، إلا أنني شعرت بالحاجة المُلِحَّةِ إلى فهم آياتٍ كنت أقف عندها متسائلة عن معناها ودلالتها، وهنا بدأت مسيرة حياتي الجديدة حينما أمسكت كتب التفسير وبدأت أقرأ بفهم وتأثر، كنت أقرأ كثيرًا في تفسير (جزء عمَّ) وأنا خالية وأبكي، كنت

أعيش الآيات بتفاعل وأشعر أن الروح تسري في قلبي، وقبسَ النورِ يُشِعُّ في نفسي، ويزداد يومًا بعد يوم، إنه الحقُّ في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

وعرفت طعم الحياة الحقيقية يوم عرفت ربي من خلال تدبر كلامه، فأحببته وآثرت محابَّه على كل شهواتي، فأقبلت على الصلاة والصيام والقرآن والقيام به والقراءة في الكتب النافعة، وتركت سماع اللهو ومتابعة الأفلام، وكل ما يمكن أن يمارسه من نشأ في أجواء الغفلة والبعد عن القرآن والعلم الشرعي، وكنتُ كلما مررت بآية تؤثر في قلبي فتحت كتب التفسير لأفهمها، ثم أكتبها في دفتر أو في ورقة أعلقها أمامي في مكان بارز.

## ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾

كنتُ في العشرينَ من عُمُرِي يومَ تقدمَ لي الشاب الذي أحلم به: طالبُ علمٍ عليه سِيمَا الصلاحِ والاستقامةِ، ووافقتُ وقتها بعد استخارة واستشارة دون تقصٍّ واضح لأمور أخرى قد تَهُمُّ الناس عادة، ومضت الأيام وأنا أعيش فترة الخِطبة في ظل حلمٍ جميلٍ بالحياة في بيت طالب علم، إلى أن اقترب موعد الزواج، وتسامع الناس بالخبر في بلدتي الصغيرة، فتتابعت التحذيرات من الارتباط بجادٍّ متزمِّتٍ بعيد عن مباهج الحياة!.

اضطربتُ وحِرْتُ بين الثباتِ على المبدأ وتكملة المشوار، وبين الاستسلامِ

(١) الأنعام: ١٢٢.

والتراجعِ، ومضتِ الأيام وأنا بين الحيرة والقلق والدموع، إلى أن شاء الله جل وعلا، وفي لحظة لا أنساها بعد صلاة الفجر جلستُ أنتظرُ الإشراق، وأخذت المصحف وتلوت من سورة آل عمران، حتى توقفت فيها على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[1]، ولم أكن أعرف تفسيرها في ذلك الوقت ولا فيمن نزلت، ولكني شعرت أنها تخاطبني، فكررتها مرات أتدبرها، وبعدها اتخذتُ قراري بالاستمرار في ترتيبات الزواج وأنا أردد: حسبي الله ونعم الوكيل.

واليوم؛ وبعد مُضِيِّ خمسةٍ وعشرينَ عامًا على زواجي؛ أرى تتمةَ الآيةِ في حياتي: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2].

## أهل الرجاء والخوف

كُنتُ دائمًا أتأمل كيف امتدح الله سبحانه وتعالى أهل الرجاء والخوف في كتابه، كما في قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]، فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذا خِفته هربت إليه.

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) آل عمران: ١٧٤.

(٣) السجدة: ١٦.

ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[1]، قلتُ: سبحان الله! هم يبيتون ساجدين وقائمين ومع ذلك يخافون الآخرة ويرجون رحمة ربهم؛ لأنهم يشعرون أنهم لم يعملوا !فتأملوا كيف ذَكَرَ تعالى خوفَهم ورجاءَهم مع إتيانهم بهذه الطاعات.

## ◄ وللأطفال مع كتاب الله قِصص أيضًا!

الأطفالُ هم فطرةٌ سليمةٌ لم تتلوث، وفهمٌ بسيطٌ لم تعقِّده أحداث الحياة، وتربيتهم في ظل الحنيفية السَّمْحَةِ؛ تُنتِجُ آخر المطاف مثل هذه القِصص؛ لنعتبر بها ونتعظ، ونتعلم منها كيف نتعامل مع القرآن ونعيش معه:

### ◄ ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾

كنت عائدًا ذات صباح من السفر، وأردت أن أحضر هدية لأبناء أخي الصغار، وحِرْتُ في اختيارها حتى وجدتُ جهازًا يعرض القرآن كاملا بصوت عدد من القراء فاشتريته، ولما عدتُ كانوا في استقبالي فقدمتُها لهم، ثم صعدت للنوم كوني مُرهقا من السفر، ورُحت في نوم عميق.

وفجأة!! - وبعد زمن لم أستطع تقدير - سمعتُ أصوات بكاءٍ، اعتقدتُ في البداية أنني أحلم، لكنني بعد أن استيقظت فَزِعًا نزلت أسفل البيت لأصعق بابنَي أخي: «راكان» ذي السنوات الأربع، و«وجدان» ذات السنوات الست؛ وهما يستمعانِ للجهاز الذي أهديته لهما، وبالتحديد لآيةٍ في سورة الانفطار تقول:

(١) الزمر: ٩.

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[1]، صُعقت لبكائهما، ومكثت برهة وأنا صامت أراقبهما وهما يبكيان بحرقة، ثم خرجتُ عن صمتي لأسألهما: لماذا تبكيان؟؟

أجابني راكان بخوف وبراءة: عمي؛ النجوم ستطير والبحر سينفجر! وتسمَّرتُ في مكاني، ليُفاجئني صوت «وجدان» بكلمة هزتني من الأعماق: عمي صلِّ وحافِظْ على صلاتك، غدا تطير النجوم، ويا ويلك من ربي!

وقد كُنتُ فعلا لا أواظب على الصلاة حينها، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أبكي وأصيح من أعماقي ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ ماذا سأقول لربي؟؟ ماذا سأقول لربي؟؟ ولم تَفُتْنِي صلاةٌ في المسجدِ منذ ذلك اليوم بفضل الله.

## ◄ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾

طفلة في الحادية عشرة من العمر، كانت تقول لأمها باستمرار: كلما مررتُ بآيات معينة من القرآن زاد خوفي، وتملَّكتني الرهبة، وأحسستُ أن الله قد يُنزل بنا العذاب إن قصَّرنا في حقه.

- سألتها الأم: وما هي هذه الآيات؟

- فأجابت الطفلة: هي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[2].

---

(١) الانفطار: ٢.

(٢) الرعد: ١٢-١٣.

## ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾

هو طفل ككل الأطفال، عمره ست سنوات في الصف الأول الابتدائي، قامت أمه الصالحة بتربيته على كتاب الله عز وجل منذ نعومة أظفاره، فأحب كتاب الله وبدأ في حفظه، وفي يوم ذهبت أمه إلى المدرسة لأخذه، فوجدته منشغلا يكتب في ورقة معه، فنادته فأقبل إليها ومعه الورقة، وظنت الأم أنه كان يرسم في تلك الورقة، فأخذت الورقة منه على عجل، وقامت بطيها، فخاف ابنها أن ترميها، فقال لها: أمي؛ أمي! لا ترمي هذه الورقة.

- قالت له: لِمَ؟

- قال لأن بها قرآنًا.

- فأخذت الأم تقرأ الورقة! ثم قالت: أنت كتبت هذه؟

- قال لها: نعم.

- قالت له في اندهاش: ولِمَ كتبتها؟

- قال لها: يا أمي؛ إن صديقي الذي يجلس أمامي في الفصل ظلمَ صديقي الآخر ظلمًا كبيرًا، وقام بأذيته دون أدنى ذنب منه، فقمت بكتابة هذه الآية لصديقي الظالم لأذكره بالله وأخوفه منه.

كانت الآية هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1].

(١) الأحزاب: ٥٨.



obeikandi.com

## ﴿كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾

كنتُ متهاونةً في أداء الصلاة رغم حرصي الشديد أن يحافظ عليها أبنائي، وقد راقبتني ابنتي ذات السنوات العشر دون علمٍ مني، فعلِمَتْ أنني أتهاون في الصَّلاة، ثم حدث بيني وبينها هذا الحوار الذي كانت فيه سببًا بعد الله في هدايتي:

– قالت لي: أمي؛ ما جزاء من ترك الصلاة؟

– قلت: كافر ومصيره إلى النار.

– قالت: ولماذا يترك الإنسان العاقل الصلاة؟

– قلت: ربما لأنه يعتقد أنه لا يوجد بعث ولا حساب، وأنه سينتهي بمجرد الموت.

– قالت: وهل هذا الاعتقاد صحيح؟

– قلت : كلا ! بل هو باطل، والصحيح أن هناك بعثًا ونشورًا وحسابًا وجزاءً وجنةً ونارًا!

– قالت لي : يا أماه؛ وما فائدة هذا الاعتقاد إذا لم يظهر أثره في سلوك الإنسان وتصرفاته؟ وفي أدائه للصلاة ومحافظته عليها في أوقاتها؟ ألم يقل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾[1]!!

فتأملت كلامها فوجدت أنه الحق، وتأثرت به فأصبحت –ولله الحمد– بعد هذا الحوار من المُحافظات على الصلوات والسنن الرواتب، أسأل الله أن يثبتني على ذلك.

(١) النساء: ١٠٣.



obeikandl.com

obeikandl.com

## قِصص تحكي تأملات ومواقف مع آيات القرآن

### ◄ لساني سر شقائي!

كنتُ امرأةً متدينةً؛ لكني كنتُ كثيرةَ الفضولِ والأسئلة، فالمهمُّ أن أسألَ، لا للمعرفةِ ثم العملِ ولكِنْ من بابِ الفضول، وكنت أتحدث عن الأشياء لمجرد الحديث فقط، وكثيرا ما كنتُ أمُرُّ بلا تفكرٍ أو تدبُّرٍ على قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]، وعلى الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[2]، لا أدري أغفلة تلك أم هي حسن ظن بنفسي؛ عياذا بالله!

وبعد زواجي كنتُ أسألُ عن أشياءَ، وأتحدثُ عن أمورٍ لا ينبغي ذكرها حتى مع الزوج، كنت أفعلُ ذلك - فقط - لأبين له أني قد سمعت عن حيل بعض النساء على أزواجهن، ولم أُدرك نفسي إلا بعد أن أدخلتُ الشكَّ في قلبِ زوجي

---

(١) ق: ١٨.

(٢) المائدة: ١٠١.

من جهتي، وتطور الأمر حتى صار يتهمني ويحتج على صحة اتهاماته بما قلته له، وبما سألته عنه!

واستمر تطور الأمور حتى ضاق بي الحال من ازدياد معاملته السيئة لي، حتى خرجت من بيتي إلى بيت أهلي، وهناك وصلنا للطلاق.

بعد الطلاق كنت أتهمه بأنه مجرمٌ وظالمٌ إذ فعل بي ما فعل بلا ذنب سبق مني، لكن عندما مررتُ بتفسير الآياتِ السابقاتِ، واستشرتُ واحدة من أهل الخبرة في حل القضايا الأسرية، وسمعَتْ مني ما صنعتُ؛ أشارت إلى لساني وقالت: هذا هو سر شقائك!

## ◄ توبة فتاة استمعت إلى كلام الله

كنتُ متماديةً في المنكرات والعصيان، ولَكَمْ حاوَلَتْ والدتي نُصحي وتذكيري، لدرجة أنها كانت تبكي أمامي؛ ولكن بدون فائدة!

ظلَلْتُ أسير في طريق مظلم كالح، أتخبط فيه بين الأوهام والخيالات، وعندما يُسدِلُ الليلُ ستاره الأسود؛ أفكر فيما سأعمله غدا، وعندما يشرق النهار أبلجَ واضحًا؛ أحمِلُ هَمَّ الليل وكيف سأقضيه، ليس لي همٌّ إلا الدنيا، وإضاعة الأوقات بدون فائدة، وتمر الساعات وأنا ما بين أغنية ومجلة، وفيلم، وهكذا ألبستني الغفلةُ من ثيابِها ألوانًا شتى.

وذات يوم مللتُ من ذلك الروتين اليومي، ومن نصح والدتي وتذكيرها لي بوالدي المتوفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ وحرصه عليَّ، ودخلتُ غرفتي التي تضج بالأشرطة والمجلات والصور، وفتحتُ نافذة غرفتي فإذا بصوت إمام المسجد يهز مسامعي وهو يقرأ

من سورة ق، فما أشد وقع تلك الكلمات على نفسي الغافلة، وما أعظمها وهي تصف حال الإنسان عند الموت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ...﴾ إلى قوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1].

إنها الحياة الحقيقية، فما أقسى الموت! وما أشد غفلتي عنه! وهذا القبرُ الذي طوته الغفلة وغَيَّبَهُ النسيان في حياتي! وهذه الصلاة التي كانت مُجَرَّدَ عادةٍ، إنْ كنتُ متفرغةً أديتها وإلا تركتُها كغيرها من الفرائض! أما كتابُ الله فلا تَمَسُّهُ يدايَ إلا في المدرسة إن حضرتُ حصته، وهكذا؛ دق جرس الإنذار في نفسي مدويًا، وانهالت الأسئلة عليَّ من كل جانب!

يا إلهي! ماذا أعددت لسؤالك؟ ماذا أعددتُ للقبر وضمته، وللموت وسكرته؟ لا شيء أبدًا؛ لا رصيدَ لديَّ أنجو به، ولا زاد أتزود به سوى عشرات الأغاني الماجنة التي أحفظها!

يا إلهي؛ ماذا سأفعل؟ راح من عُمُري الكثير: ذنوب بالليل وآثام بالنهار! لابد من الرجوع إلى الله والاستعداد ليوم تشيب فيه الولدان، وتضع كل ذات حمل حملها، لابد من الاستيقاظ والعمل بجد وإخلاص، لعل الله أن يعفو عن الكثير، ويقبل القليل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## ◄ أعادته آية !

أنا شاب مسلم من أسرة مسلمة متوسطة، هاجرتُ إلى كندا منذ عشر سنوات،

(١) ق: ١٦-٣٥.



obeikandl.com

وهناك؛ حيث يباح كل شيء، ويتم في وضح النهار مهما كان مخزيا؛ انزلقتُ إلى مستنقع الفواحش، وغَرِقْتُ في الرذيلة المحرمة إلى أقصى درجة، ثم جاءتني فرصةٌ للعمل في القاهرة بإحدى الوكالات التابعة لهيئةٍ دوليةٍ معروفةٍ، وفي القاهرة تعرفت على مجتمع من الشباب المنفلت البغيض، ونظرًا لما حباني به الله من وَسَامة وجاذبية في الحديث؛ فقد كانوا يرحبون بي أينما حللت!

وفي أحد الأيام كنتُ أتصفح الشبكة العنكبوتية؛ فدخلت أحدَ المواقعِ النصرانيةِ التي تَسُبُّ سيدي وحبيبي ﷺ، وأحسست بالدماء تغلي في عروقي حتى ليكاد رأسي ينفجر من الغيظ، ووجدت بالموقع رابطًا لبرامج بعض المنصرين؛ فهالني ما أسمع، إلا أنى أحسست عند استشهاده بإحدى الآيات القرآنية أن هناك تغييرًا مُتَعَمَّدًا في كلماتها، ولكني لم أكن متأكدا منه، فقررت أن أعود للآية التي يَستشهد بها للتأكد من صدق ما يطرحه من أدلةٍ على شبهاته، وأمسكت المصحف لأول مرة منذ خمس سنوات للبحث عن الآية المذكورة، ولكن قبل أن أصل إليها وقعت عيني على قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، ووجدت نفسي أكررها عدة مرات، وانتابتني موجة من البكاء حتى علا صوتي وأنا أبكي وأستغفر الله، وأعلنت التوبة، وانتظمت في صلاتي، وأرجو من الله أن يتقبل مني توبتي.

ثم بدأت بعد ذلك رحلة طويلة من الدراسة للقرآن الكريم، وكلما أنعم الله

(١) الزمر: ٥٣.



obeikandl.com

عليَّ بالعلم من عنده؛ عرفت كم هو عظيمٌ ديننا، وكم هو عظيمٌ نبيُّنَا الكريم ﷺ، كما عرفت كم هو ضئيل ووضيع كل من حاول الطعن فيهما!.

وليهنأ المنصرون ومن سار في رِكَابِهِم، فكم من مسلم مستهتر عاد إلى جنة الإسلام بفضل أكاذيبهم وافتراءاتهم، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

## ◄ ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾

أنا امرأة متزوجة ولدي طفلتان، وبسبب ظروف الحياة الصعبة، وبسبب دراستي الجامعية اندرجتُ في العمل بأحد البنوك الربوية، وأنا أحب بطبيعتي التفاني والإخلاص في العمل؛ فكنت من الموظفات النشيطات المتميزات والمحبوبات من الزبائن، لا أزعم أنني لم أكن أعلم أن العمل بالربا حرام؛ ولكن لم يكن لدي الوازع الديني القوي لِيَرْدَعَنِي، وبالرغم من ذلك كنت دائما أشعر أن هناك خطأً مَا، وأن مكاني المناسب ليس هنا، إلى أن تُوُفِّيَ أبي وبدأتُ بقراءة القرآنِ بتدبر فتأثرت جدا بقوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾[2]، فكانت هذه الآياتُ تصيبني بنوبةِ بكاءٍ شديدةٍ، وخوفٍ وهلعٍ كلما تصورت نفسي مع مَن سيؤتى كتابه بشماله، فكنت في داخلي أتمنى أن

(١) الصف: ٨.

(٢) الحاقة: ٢٥-٣٢.

أصبح من الأخوات الملتزمات، ومع الوقت تكاثرت الديونُ الربوية عليَّ وعلى زوجي لبناء البيت فكنتُ مقيدة بها شَرَّ تقييد.

وفي إحدى الليالي تسللتُ من فراشي وفرشت سجادتي وصليت ورفعت يدي لله، وسألته أن يتوب عليَّ من العمل في البنوك، وأن يُدبر لي لأنني لا أحسن التدبير، وأن يختار لي لأنني لا أحسن الاختيار.

وعلمت فيما بعد بأنني في هذا الدعاء قد تبرأت من حَوْلِي وقُوَّتِي دون أن أشعر، وحصل بعد ذلك أن انتقلنا لفرع جديد لهذا البنك تم تأسيسه، فَبَدَأَتِ الزياداتُ والترقياتُ وشهاداتُ الشكرِ، وزاد حب الزبائن وتقدير المديرين لي، حتى أصبحتُ إن غبتُ عن العمل تتعطل المعاملات المنوطة بي، وأصبحتُ أديرُ مَنْصِبَيْنِ معًا في آنٍ واحد، وبعد ثلاثةِ أشهرٍ فقط من تأسيس الفرع الجديد شعرت فجأة بألم شديد في خاصرتي؛ فأخذني زوجي إلى المستشفى، وتم اكتشاف ورم خبيث (سرطاني) أدى إلى استئصال الرحم بالكامل، وكانت النتائج تقول بأن عُمُرَ الورمِ ثلاثةُ أشهرٍ فقط، فعلمتُ مباشرةً أن هذا هو ترتيب رب العالمين لي؛ لأن عُمُرَ المرضِ هو نَفْسُهُ عُمُرُ تأسيسِ الفرع الجديد.

كان أولُ ما فعلتُهُ أن كتبت استقالتي من البنك دون تفكير، وقد تعرضت لضغوط كثيرة من الأهل والمديرين في البنك، ونصحوني بعدم التسرع لأني واقعة تحت ضغط نفسيٍّ يمنعني من التفكير السليم، لكني كنت متيقنة بأن الله سيختار لي، وبعدها خضعتُ للعلاج الكيماوي، وكان زوجي -بعد الله تعالى- خيرَ عونٍ ورفيقٍ وصاحبٍ لي في هذا الابتلاء، وكان كتابُ الله بيدي دائمًا، فاستوقفتني فيه

آية في سورة الإسراء تقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[1]، دَخَلَتِ الآيةُ قلبي وكأنها خطابٌ وتحذيرٌ من رب العالمين لي مباشرة، كي تحذرني الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى، فكانت كلمة: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ تتردد على مسامعي كلما عاودني الحنين للعمل أو لزميلاتي أو لمكتبي، وبعدها فوجئتُ أن البنك قد أعطاني مساعدة مالية كبيرة، بالإضافة لحقوق نهاية الخدمة، وأن البنك الآخر قد أسقط عني نصف القرض، وكنتُ أسمع صوتا يتردد في داخلي يقول لي:

لا عذر لكِ الآن، لقد شفيناكِ ومنحناكِ فرصة جديدة للحياة، ورزقناكِ من المال الحلال ما يُسقط كل ديونكِ، وأعطيناكِ زيادة لتبدأ حياتك من جديدٍ؛ فإن عدتِ عدنا!

وكانت بداية التحول في حياتي، فبدأت بدراسة العلم الشرعي، وحضور مجالس الذكر؛ حتى أصبحت مديرةَ مركز نسائي دعوي ناجح. أسأل الله القبول.

واليومَ - وبعد مرور أكثر من أربع سنوات - لا زالت تلك الآية تتردد في مسامعي: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، حتى إن زوجي كان يكررها عليّ كلما آنس مني ضعفًا أو حنينًا لعملي السابق، أو كلما مررنا بالبنك فوجدني أتطلع إلى الداخل لأرى الموظفين الجدد الذين يجلسون مكاني، فيكرر علي: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ فأبتعدُ مباشرة بنظري عن البنك، متذكرة مرضي والمحنة التي مررت بها، وإن عدت فسيعود، فأستغفر الله وأحمده.

(١) الإسراء: ٨.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[1].

لقد كانت هذه الآية - ولا تزال - خطًّا أحمر بالنسبة لي، وجرس إنذار قوي لا يمكنني تجاوزه، فالحمد لله.

## ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

كنتُ أقرأ الآية الآتية وأسمعها، فتمر على لساني وأذني مرور الكرام:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، حتى تفكرتُ فيها يومًا، فقلتُ:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ كيف ظهر ربَّاهُ؟ فأتتني الإجابة ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.

وماذا بعدُ؟ ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، قلتُ: فقط ﴿بَعْضَ﴾ !! ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ !!

فكيف بنا إذا أذاقنا جزاء كل ما كسبت أيدينا؟

ثم جاء خِتَامُ الآية ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، هل في جوفِ الابتلاءات والمحنِ التي نستحقها؛ رحمةٌ من الله لكن نرتدعَ ونتوب؟

ما ألطفكَ وما أحلمكَ ربنا، وما أرحمكَ بعبادك الضعفاء، اللهم خُذْ بنواصينا إليك؛ أخذ الكرام عليك.

---

(١) الإسراء: ٨.

(٢) الروم: ٤١.



obeikandl.com

◄ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

إنها رسالة لكلِّ أبٍ ومربٍّ وداعية: إذا كان الله يحول بين المرء وقلبه الذي بين جنبيه؛ فكيف بقلب ابنه أو تلميذه أو من يدعوه!

اللهم يا مقلب القلوب؛ ثبت قلوبنا على دينك.

◄ ﴿كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

كنتُ طالبة في المرحلة الثانوية، وكنت أذاكر لأخي وابن أختي، ومع ضغط الدراسة عليَّ؛ كنتُ دائما وبمجرد أن أكرر شرح مسألة لهما أكثر من مرة أمَلُّ وأصرخ فيهما، فإن تكرر عدم التركيز أرمي الكتاب في وجهيهما.

كنت أبكي وأتحسر على عصبيتي معهما بمجرد مغادرتي المكان، وأحاسب نفسي وأسألها: هؤلاء أطفال! فلماذا أعاملهم بهذه العصبية؟

وبالرغم من ذلك، كنتُ بمجرد أن أعاود المذاكرة لهما، أو حتى بمجرد علمي بنزول درجاتهم أعود إلى الصراخ والعصبية معهما.

وفي يومٍ قلت لأخي الصغير وأنا غاضبة: ابتعد، فلن أدرسك، وكان وقتها في الصف الثاني الابتدائي، فوجئت به يبكي ثم لحقني إلى الغرفة الأخرى وهو يقول

(١) الأنفال: ٢٤.

بصوت متقطع: آخر مرة سامحيني، فكانت معاناتي بعد ذلك الموقف تزيد يوما بعد يوم.

وفي إحدى الليالي قمت في السحر، وسألت الله أن يهديني ويصلحني ويوفقني لسبيل أستطيع ضبط نفسي به، وفتحت المصحف لأتخير من آياته للصلاة، وتوفيقًا من الله؛ إذ بي أفتح على قوله عز وجل من سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾[1].

كنت أقرأ من بداية الصفحة؛ وحين وصلت إلى هذه الآية لم أتمالك نفسي، وبدأت أكرر الآية: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، ومع التكرار بدأت أفكر: صلابةُ الحجرِ تَلِيْنُ وتُفَجِّرُ أنهارًا، وأنت أين قلبُك؟!!

عدت من جديد للآية وقراءتها، كان الخطاب فيها لليهود، ووجدتني أحاسب نفسي على فظاظتي وشدتي في المعاملة، حتى استيقظت في اليوم التالي وكأني قد ولدت من جديد.

لقد تخرجت بعد ذلك واشتغلتُ بالتدريس، وكانت المرحلة الابتدائية أول عملي في التدريس لمدة أربع سنوات، وها أنا اليومَ أعملُ في التوجيه، وأستقبل المكالمات من المعلمات لأعلمهن الطريقة الصحيحة في التعامل مع هذه المرحلة، وأتذكر دائمًا حِلْمَ الله على العاصي والكافر، فكيف بالمؤمن الموحد!

وأخيرًا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[2].

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) الأعراف: ٤٣.



obeikandl.com

## ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

كلما تذكرت هذه الآية: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1]؛ أَحْرِصُ ألا يكون بيني وبين أحدٍ خلافٌ، وأحاولُ إن كان هناك خلاف أن أمحوه تطبيقًا لهذه الآية.

## آياتُ التحدّي!

في ظل الانفتاح وكثرة الفتن وتجاوزات البعض؛ وحين أرى منكرًا؛ وأَضْعُفُ عن التوجيه والإنكار على فاعله؛ أتذكر (آيات التحدي) فَأَقْوَى ويشتدُّ عزمي، إنها تلك الآيات التي يحكي الله تعالى فيهنَّ التحدِّي الذي يخوضه إبليس وأعوانه ضدَّ المؤمنين:

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[2].

## النيّةَ النيّةَ!!

في كل جمعة أقرأ سورة الكهف، لكن في جمعة من الجُمع، مررتُ على آخر صفحة منها، وتحديدًا على قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ

(١) الأنفال: ١.

(٢) الحجر: ٣٦-٤٢.

ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1]؛ فوقفتُ متأملة: يا الله!!! أيُمكن أن يعمل الإنسان أعمالا قد تكون سببا في خسارتــه؛ وهو يظن أنه يحسن العمل؟!! وأخذت بعدها أتعاهد نيتي، سائلةً الله ربي أن يجعل كل أعمالي خالصة لوجهه!.

## ◄ آيةٌ غيّرت حياتي!

غيرت آيةٌ قرأتُها ذاتَ يومٍ مجرى حياتي كله، وهي قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[2]، لقد كنتُ في معصية الله عز وجل ثلاث سنوات كاملة، حاولت أن أترك المعصية لكني ما استطعت! وجلستُ يوما أبكي بشدة، وأناجي ربي، فسمعتُ الآية أعلاه، فانشرح لها صدري، وتملَّكني الحياء من ربي عز وجل، وسألتُ نفسي حينها بصدق: هل أقبل أن يراني أبي أو أمي أو أيُّ أحد في هذه الدنيا على ما أنا فيه؟ أو حتى أن يسمعوا بما أفعل؟

وكان جوابي الأكيد لنفسي : لا، وألْفُ لا...، فإن كنتُ قد استحييتُ من العباد فكيف برب العباد وهو المطلع على كل شيء! فاستحييت من نظره سبحانه إليَّ وأنا أعصيه، وقررتُ أن أتركَ ما أنا فيه، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرا منه، وبمنة من الله وفضل تركتُ المعصية، وها أنا أنعم بالسعادة بفضل ربي منذ سنوات.

---

(١) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

(٢) النساء: ١٠٨.



obeikandl.com

## ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾

آية في كتاب الله تُبكيني، فعندما أرى منكرًا أضعف عن إنكاره أو أسكتُ؛ أتذكر قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1]، تأمَّلتُها أوَّلَ مرةٍ وأنا أبكي: كيف لا أخشى الله وحده وهو مراقب لي، وحاولت فعلا تربية نفسي عند رؤية المنكر أن لا أخشى ولا أخاف إلا الله، فأصبحتُ عندما أنصح من حولي إذا انتابني شعور بالخوف أتذكر تلك الآية: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

## رضيتُ بما اختار

إذا ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت وتكالبت الهموم، وبدأ الشيطان يُعقِّد أمامي الأمور، ويدّعي ألاَّ وجود للحلول، أتذكر قول ربنا جلَّ شأنه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[2]، فتنقشع عني غيوم الهم، وتشرق في سمائي شمس التفاؤل وإحسان الظن، فإنَّ الخيرَ كل الخير في اختيار الحكيم وتدبير العليم، ولو عُرض ليَ الغيبُ ما اخترتُ إلا اختيار ربي.

## آية لا تُنسى!

عند التحاقي لأول مرة بدار التحفيظ قرأت في وردي اليومي: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[3]، أحسست حينها بأنني سأتغير مع القرآن

(١) الأحزاب: ٣٩.
(٢) القصص: ٦٨.
(٣) الإسراء: ٩.

الكريم، لكنني ما كُنت أدري ما هو نوع الهداية ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ؟

ولكن ما مرَّ - والله - شهران على التحاقي بالدار إلا وأصبحتُ أحس بلذة في عباداتي وصيامي، وفي قيام الليل خاصة ومحبةِ الصالحين، ثم بعد سنتين حفظت القرآن الكريم كاملا - ولله الحمد - مع أني كنت منذ بداية التحاقي بالدار لا أحفظ سوى أربعة أجزاء، فأدركت أن هذه هي بركة القرآن الكريم.

## ◄ الأدب العظيم

سمعتُ أستاذتي يومًا وهي تفسِّر قول الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[1]، واستشعرت مع حديثها كيف كان رسول الله ﷺ وهو في رحلته في السماء مع جبريل غاضًّا لبصره عن فضول النظر، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم منه عليه الصلاة والسلام، حتى مدحه الله بما في الآية، وأصبحت هذه الآية كلما تذكرتُها طريقًا لي بأن أترك فضول النظر أينما كنت وحيثما ذهبت!.

## ◄ التجارة مع الله

كُنتُ دائما إذا هممتُ بمعصيةٍ أو غِيْبَةٍ لأحد أتذكر قول الله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]؛ فَأُحْجِمُ عن ذلك.

وكان سبب محافظتي على العبادات الثلاث: قراءة القرآن الكريم، والصلاة، والإنفاق؛ هي قول الله تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ

(١) النجم: ١٧.
(٢) ق: ١٨.

وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ
(٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[١]،

فما أجمل أن نعمل بالعمل موقنين أننا سنأخذ عليه أجرنا من الله وزيادة؛ لأنه تعالى شكورٌ يقبلُ القليل من الصالحات، ويجزي عليها الكثير الحسنات.

## ﴿لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾

كنت طالبة في المراحل الأولى من دراستي الجامعية، وأنا من عائلة محافظة والحمد الله، ولكنني كنت متساهلة في الحجاب، بل لم أكن أتحجَّبُ حقيقة.

وحدث أن كنت في صلاة التراويح خلف إمام يرتل القرآن الكريم بصوت جميل وطريقة تحملك على التمعن في الآيات، وكانت قراءته في تلك الليلة من سورة الكهف حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا
وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٢]، وفي هذه الآية تحديدًا بدأ صوت الشيخ يلين ويرق ثم بكى، وبكيتُ خلفه وأنا أتخيل الموقف والعرض بين يدي الرحمن وعظمته، وعندما عدت إلى البيت قررت أن ألبس الحجاب وأخبرت أمي بهذا القرار، والحمد لله الذي هداني إلى طاعته ورضاه.

---

(١) فاطر: ٢٩-٣٠.

(٢) الكهف: ٤٧-٤٩.



obeikandl.com

﴿لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾

كنت مريضًا مرضًا شديدًا، وكان كل ما يؤرقني هو حياة أولادي من بعدي؛ كيف سيعيشون؟ ومن سيربيهم؟ لو أنهم كانوا أصلب عودًا وأشدَّ قوةً وأسنَّ مما هم عليه؛ لمِتُّ مطمئنًا على حالهم.

وزارني يومًا أحد الصالحين، فبثت إليه همي، فقرأ علي الآية الكريمة: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾[1].

لقد كنت أحفظ سورة النساء عن ظهر قلب، ولكن الآية كأنما نزلت غضة طرية لتوها، نزلت على روحي بردًا وسلامًا، وعلمت أن الله هو الرزاق الحافظ لي ولهم، وسكنت نفسي لهذا الكلام جدا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

## شرف الذاكرين

آيةٌ في كتاب الله أستَحْضِرُهَا كلما دخلتُ مجلسًا من مجالس ذكر الله، وهي قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾[2]، فأستشعِرُ أن مجرد إذن الله لي – ولمن حضر هذا المجلس من فوق سبع سماوات – بذكره؛ هو شرفٌ عظيم لنا، وما أعظم ذكر الله! نسأله سبحانه أن يجعلنا ممن يذكره آناء الليل وأطراف النهار.

(١) النساء: ٩.

(٢) النور: ٣٦.

## ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾

كم أثر فيَّ قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [1]، لقد صارت أمام عيني كلما هممت بمعصية، أتخيل أن الله – سبحانه – يخاطبني بها فأرتدع، فها هو القرآن بين أظهرنا يتلى آناء الليل والنهار، نورًا يمحو ظلمات الهوى، لا يترك لأحد على الله حجة، فلنستمع لآياته، ونتعظ بها قبل أن يقال لنا ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ .

## ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾

عندما بلغتُ الثامنة عشرة من عمري كُنت فتاة متدينة، وتقدم لخطبتي حينها شاب غير متدين، غير أن الجميع كان يُثني على أخلاقه واستقامة سلوكه، وكُنت مترددة جدا في قبوله؛ بل كنت أقرب إلى الرفض، ومع أن والدي قد سأل عنه، ووجد فيه الصفات المناسبة، إلا أن ذلك لم ينطبق على أمنياتي التي كُنت أنسُجها حول زوج المستقبل، والذي كُنت أريده صالحًا طالبًا للعلم.

وذات يوم؛ جاءت إليَّ أمي تطلب مني الرد النهائي، ونظرت إليَّ وهي تقول بحنان: يا بنيتي؛ لقد استخرتِ الله وأنتِ فتاة طيبة، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [2]، فلما سمعت الآية وقعت من نفسي موقعًا عجيبًا، وامتلأ قلبي يقينًا بأنَّ الله لن يُخيِّب أملي في أن يكون هذا الشاب هو الأنسب لي، فتوكلتُ على الله ووافقتُ على الزواج منه.

---

(١) المؤمنون: ١٠٥.

(٢) النور: ٢٦.

واليوم؛ وبعد أكثر من ثلاثين سنة قضيتها في زواج ناجح بحمد الله؛ أتذكَّر هذه الآية وأقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [1].

## ◄ آية تشحذ الهمم!

كلما قسا قلبي وأصابني الفتور لجأت إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [2]، آيةٌ تخشع لها القلوب، وتؤثر في النفوس، كم من سامع لها بكى وخشع! وكم من مذنب تاب وإلى الحق رجع!

## ◄ غيِّري وإلا تُغيَّري!

مررتُ ذات يوم وأنا أقرأ في كتاب الله بآية لكأنني أقرؤها لأول مرة، وقفتُ هذه المرة أمامها وقوفًا طويلا، انتهى بي إلى بكاءٍ شديد ولَّد في أعماقي إصرارًا كبيرًا وقوةً لا تقف عند حدٍّ في تغيير واقع نفسي وأمتي ولو خطوة واحدة إلى الأمام، لقد أحسستُ بقشعريرة لا تزال تسري في أوصالي كلما ردَّدتها، وكأنّها تناديني قائلةً: غيِّـري وإلا تُغيَّـري!

إنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [3]، إنه فضلُ الله يؤتيه من يشاء،

(١) النساء: ٨٧.
(٢) الحديد: ١٦.
(٣) المائدة: ٥٤.

وإني لأسأل الله أن أكون ممن يُؤتاه بمنته ورحمته، وأن نكون ممن يستعملهم سبحانه في طاعته وخدمة دينه، لا ممن يستبدلهم... آمين.

## ◄ ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾

في يوم شتاء بارد، استيقظ زوجي كالعادة لصلاة الصبح، فأيقظني وذهب لإيقاظ ابني، واسترخيتُ قليلا من شدة البرد وأنا بين النوم واليقظة، وأقول في نفسي: أغفو قليلا لحين عودتهم ثم أقوم للصلاة، أصغيتُ للإمام وهو يتلو فإذا هي الآية: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [1]؛ فصحوت مسرعة، ونهضت وأنا أتخيل الساق تلتف بالساق، وأقول في نفسي: ماذا تنفع هذه الغفوة؟ لقد هزت الآية مشاعري، وأحسست أنها تخاطبني مباشرةً، وفعلا غيرت هذه الآية العظيمة مسار حياتي.

## ◄ ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾

كم يضيق صدري، وينقبض قلبي، ويتكدر خاطري؛ مما أراني عليه من لهث وراء هذه الدنيا وزينتها! ومما أرى فيها من الإسراف والتَّرَفِ والمباهاة والمنكرات وكشف العورات! وأخشى والله من سوء العاقبة، ويكفي من ذلك الغفلة وعدم المصابرة مع من أمَرَنَا ربُنَا بحبسِ النفسِ معهم في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [2].

---

(١) القيامة: ٢٩.

(٢) الكهف: ٢٨.

## ◄ آيةٌ للتجار فقط!

كنتُ أطلب من زوجي دائمًا أن يكون هو المبادر لإنجاح حياتنا، وإصلاح أمورنا، وكنت أغضب وأرى ذلك واجبًا عليه وحده، بينما أتكاسل أنا في ذلك، وأمُنُّ عليه في نفسي إذا قمت بشيء من ذلك، إلى أن قرأت تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[1]، فأدركتُ ضرورة أن أطالب نفسي بأكثر مما أطالب به زوجي من المبادرة إلى الخيرات والإصلاح، وأدركتُ أهمية أن نجعل هذه الآية نصب أعيننا في جميع تعاملاتنا، فقد كنت أظن – لفرط جهلي – أن هذه الآية للتجار فقط!.

## ◄ معاناة وآية

كنتُ ولا زلتُ أعاني نوعًا من المشقة في إيقاظ أبنائي على اختلاف أعمارهم لأداء صلاة الفجر في المسجد، ويتسرَّب إليَّ الضجر والملل في أحايين كثيرة، فكُنت لا أنفكُّ أقرأ بصوت مسموع قولَه تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[2]، فأشعر بقوة تساندني، وأستشعر أنني الآن مستجيبة لأمر الله تعالى الذي طلبه مني في الآية، فأجالد نفسي على الصبر حتى أنال أجر الصابرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

## ◄ المحك الحقيقي

استوقفتني آيةٌ عندما كنت أحفظ سورة الأنفال، إنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) المطففين: ١.
(٢) طه: ١٣٢.
(٣) الزمر: ١٠.



obeikandl.com

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [1]، وبحثتُ عن تفسيرها وتأثرت به جدًا، فأصبحت بعد ذلك المقياس والمحك لكل موقف يمر بي: هل أنا في المسار الصحيح، أم حِدْتُ عن الطريق؟ فتستحثني للإسراع في الاختيار.

في الآية دعوةٌ بنداء الإيمان، وأمرٌ بالمسارعة إلى طاعة كل أمرٍ من الله ورسوله؛ خشيةَ أن يُحال بينكَ وبين قلبكِ إذا توانيتَ أو ترددتَ، ثم تتمنى بعد ذلك الوصول إليه فلا تستطيع!.

## ◄ سورة يوسف

بدأت رحلتي مع القرآن الكريم ذات يوم حينما كنت مكروبة بأمر دنيوي وضاقت بي الدنيا، كان مصحفي الصغير يعلو الطاولة أمامي، ورغم ذلك لم أمنح نفسي من قبلُ وقتًا لأتلو آياته ليخفف لوعتي ويُنير وَحدتي، أمسكته يومها ونفسي الأمَّارة بالسوء تنازعني وتقول لي: لا وقت ولا حلَّ لمشكلتك، ولم أعد أطيق الاستماع لها!

وشرعت في تلاوة (سورة يوسف)، وكُنت قد اعتدتُ في السابق تلاوتها حتى حفظت معظم آياتها فأحببتها، وأخذتُ أتلو وأنشج لما آل إليه حالي، وأفكر في حال يوسف عليه السلام، وبدأتُ أقارن بين حاله وحالي، بين مصيبته ومصيبتي، فطاشت كفتي أمام كفته، إذ إن مصيبتي لم تكن شيئًا في ميزان مصيبته، طفل صغير يُلقيه إخوته ويرحلون عنه، وأبٌ يفقد أحبِّ أبنائه إليه، مضيتُ أقرأ أحداث القصة

(١) الأنفال: ٢٤.

حتى غلبني النوم والمصحف في يدي، وحينما استيقظتُ أعلنتُ ميلادًا جديدا لقلبي الذي علاه الصدأ، واستلمتُ مصحفي ورُحتُ أقرأ بلذة لا تُعادلها لذة.

## ◄ أزهرت حياتي بالقرآن

اكتشفتُ أن العلاج الناجح لكل داءٍ هو القرآن الكريم، دائي كان ذنوبي، وضعفَ سيطرتي على شهوات نفسي، حتى أوصلني ذلك إلى حد كره ذاتي، ولم يكن عمري قد تجاوز السابعة عشرة بعد!

وقُبَيْلَ رمضانَ بأيامٍ؛ سمعتُ كلماتٍ ناصحةٍ تَحُثُّ على استثمار فرصةِ رمضانَ، وجعلِهِ نقطة انطلاق لحياة جديدة من خلال تدبر القرآن الكريم، فامتثلتُ لهذه الموعظة وقرأته بخشوعٍ وتدبرٍ، فأحسست به يَغْسِلُ كُلَّ ركامِ الآثامِ بداخلي، وبدأت أُدَوِّنُ كل آيةٍ أتأثر بها في دفترٍ خاصٍّ وأبحث عن تفسيرها، أقرؤه بعد ذلك فيزيد إيماني وأهنأ بالسكينة، وأزهرت حياتي بالقرآن، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

## ◄ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾

قبل اثني عشر عامًا كنتُ أُدَرِّسُ المرحلة الثانوية، فأحضرتُ للطلاب شريطا بتلاوة قارئ، وكان من عادتي يومئذ أن أستمع معهم لقارئ متقن في آخر خمس دقائق من حصة القرآن لتعريفهم بالقراء المتقنين، وكان نصيب ذلك الدرس تلاوة لشيخ المقارئ الليبية الشيخ (الدوكالي عالم) صاحب الصوت الشجي، والنبرة المؤثرة.

وبعد انتهاء الدرس، جاءني طالب لم أعهد منه حرصًا ولا صلاحًا، بل كان من أرباب المشكلات السلوكية في المدرسة، أتاني في غرفة المعلمين بعد الدرس،

obeikandi.com

وبعد أن أبدى إعجابه بالقارئ قال لي: الآيات بصوته حلوة، وتدخل القلب، وأحسست بها جدًا!

دفعني الفضول لمعرفة المزيد، وسألته عن أكثر شيء أثَّر فيه، فقال لي: سمعتُ منه آية خوفتني من الله، فقلتُ: ماهي؟ فطلب مني المصحف لأنه لا يحفظها، فأعطيته المصحف مفتوحًا على نفس المقطع، فأشار إلى الآية وإذا هي قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[1]، ورأيته قد تأثَّر، وهو يقول لي: ادعُ لي يا أستاذ أن يستر الله عليَّ!، و والله إنّ حديثه منذ اثني عشر عامًا لا يزال في أذني كأنما قد سمعتُه لتوِّي، ولا زلتُ أتأثر بالآية كلما سمعتها أو قرأتها.

## ◄ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾

من الآيات التي تأثرت بها؛ تلك الآيات التي يتودَّد الله جل وعلا فيها إلى عباده وهو غنيٌّ عنهم، يقول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

ما أحقرنا حين نتجرأ على الله بالمعاصي! وكلما وسوس لي الشيطان بمعصية

(١) الزمر: ٤٧.

(٢) الأنفال: ٢٤-٢٦.

تذكرتُ هذه الآيات، واستحييتُ من الله، فنحن منذ لحظة استيقاظنا إلى نومنا نتقلب في نعم الله الذي يتودد إلينا بها، وهو الغني عنا سبحانه!

### ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾

غالبا ما أستشعرُ في حياتي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1]، فتطبَّعتُ بها وصار معناها جزءًا مني، حتى أصبح البعض لا يتهيَّب من استشارتي في بعض الأمور الدقيقة في حياته لعلمِهِ اليقين بأني لن أتطلع لمعرفة ما حجبه عني بإرادته مما لا يفيد في تقديم المشورة، فوجدت في ذلك تربيةً لنفسي على قوة الإرادة، وراحة لها عن أن تنشغل بما لا يعنيها!.

### ميزان الصداقة

كانت الصداقات من حولي كثيرة، وكنت حائرة في اختياراتي بينها، حتى قرأت بعين قلبي قولَه تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، وحينما عِشْتُ مع الآية بمشاعري وأحاسيسي؛ أذعنت لها جوارحي، وأيقنتُ بقرب الله مني ولطفه بي، وكأنما نزلت الآية لي وحدي دون سواي، وكأَنْ قد عَلِمَ سبحانه حاجتي دون أن أُبدي شكواي، وها أنا في ظلها أجد السعادة الحقيقية مع الأخلاء الأوفياء الأتقياء الذين ازددت معهم قربًا من الله وإقبالا عليه، ووجدت منهم محبة صادقة لا يحكمها إلا الإيمان والحب في الله.

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) الزخرف: ٦٧.



obeikandl.com

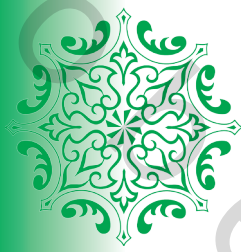

## الخاتمة

وبعدُ، فقد كانت رحلةً ممتعة في رحابِ قِصَصِ الذينَ عاشوا معَ القرآنِ بقلوبهم، فخشعتْ قلوبهم، ودمعَتْ عيونهم، أو عاشوا مع القرآن واقعًا في حياتهم، فائتمروا بأمره، وانتهوا بنهيه، وعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، فحسُنت أخلاقهم، وطابت نفوسهم بما لهم عند الله!

إن القِصص في القرآن الكريم كثيرةٌ ومتنوعةٌ، وذلك لما للقصة من أثرٍ في تسهيل الفهم، والتشجيع على العمل، ولما فيها من العظة والعبرة، والتاريخ والأحداث تتكرر وتعيد نفسها، فطوبى لمن كانت له في غيرِهِ عِبْرَةٌ، ولم يكُنْ عبرة لغيره!.

إنها دعوة لندخل فيما دخلوا فيه، لنسعد كما سعدوا، وننقلب إلى الله بأعمال صالحة تُدخلنا الجنة برحمة الله، وما أقبح أن تُبحر عيوننا في قصص الصالحين؛ ثم لا نسعى إلى التشبه بهم، والاقتداء بسيرتهم!.

نسأل الله أن نكون قد وُفِّقنا في جمع هذه القِصص، وأن تكون نافعة لأهل الإيمان، زيادةً في إيمانهم، ورفعةً في درجاتهم، واللهَ نسأل القبول.



ketabonline.com